الاعداد العملى للشباب

بقلم السيد عبد المجيد الرمالى بك
(مراقب مجلس النواب)

إذا ذكرت الإعداد العملى للشباب فانما أعنى تهيئة الشباب المصرى للحياة العملية ، القائمة على الجد والإقدام ، الخالية من القعود والجمود ، المبرأة من الدعة والتواكل ، بحيث يقتحم الحياة اقتحاما ، ويشق سبيله فيها مذللا للصعاب ، مزيحا للعقبات ، واطئا للأشواك حتى يصل إلى غايته ويبلغ الى هدفه ، من الرزق الشريف ، والعيشة الرغدة ، ونفع النفس والناس ، وخدمة الأهل والوطن مع السعى الدائب فى سبيل التقدم ، والمثابرة على العمل فى سبيل المزيد من الاستفادة والإفادة .

ولقد مضى وانقضى زمان كانت الحياة فيه هينة لينة ، والعيش فيه سهلا سهدا ، حين كان الرزق القليل يكفى للعدد الكثير من الأهل والعيال ، وحين كان الشاب لا يكاد يتخرج من إحدى المدارس حاملا أية شهادة دراسية حتى يجد أمامه باب الوظائف مفتوحا على مصراعيه . ولى ذلك الزمن وصرنا فى وقت ضاقت فيه الدواوين بمن فيها من الموظفين ، وصار (العرض) أضعاف أضعاف (الطلب) وكثر التزاحم على أبواب الرزق فى خارج الحكومة كذلك ، واشتد الكفاح فى سبيل الحياة بوجه عام ، هذا بينما كثرت المطالب وألحت ، وتعددت الضرورات واستبدت ، وارتفع مستوى المعيشة عموما فصار يتطلب المزيد من الجهد والنضال .

حيال ذلك أصبح من أوجب الواجبات أن نعد شبابنا لهذا الكفاح الشديد فى الحياة وسط الصعاب المحيطة ، وإزاء المزاحمة من أبناء الأجانب ، وأمام الضيق فى ميدان التوظف الذى جعله فى الواقع موصد الأبواب أمام الجيل الجديد .

ولا ريب أن إعداد الشباب لهذا الكفاح يتطلب منا تزويده بالعدة التى يكافح بها ، سواء من علم أو خلق أو مال وتهيئة الظروف المواتية كى ينجح فى نضاله ويفوز ، وإن فى نجاحه لتقدما للبلاد ، وإن فى فوزه لانتصارا للقومية المصرية وضمانا لمستقبل الوطن .

إن الإعداد العملى للشباب يستدعى رعاية خاصة لهذا الغرض من رجال التعليم ومن الآباء والأمهات ، ومن رجال الأعمال أصحاب المتاجر والمصانع وبيوت المال ، وسأذكر هنا واجبات كل طائفة من هؤلاء على حدة .

الطائفة الأولى رجال التعليم : وإنى لإخالهم جميعا من وزير المعارف الى كبار موظفى وزارته إلى نظار المدارس ومدرسيها على اختلاف درجاتهم وطوائفهم ، إخالهم جميعا وقد أيقنوا أن برامج التعليم الماضية التى كان يقصد بها تخريج موظفين فحسب ، قد عفا عليها الدهر ولم يعد لها مجال فى وقت اكتظت به الدواوين بالموظفين ، ولقد بان أثر اقتناع رجال التعليم بهذه الحقيقة فى تغيير برامج التعليم مرة بعد أخرى واتجاهها كل مرة نحو التعليم العملى أكثر من قبل . واتضح أثر ذلك الاقتناع كذلك فى الاكثار من المدارس والمعاهد العملية على اختلاف أنواعها ودرجاتها سواء كانت للتجارة أو الصناعة أو الزراعة أو للفنون. وإن من ينظر الى ذلك يحسب أن الداء قد عولج وأن الغاية قد تمت . ولكنه لا يلبث أن يتولاه العجب حين يرى أكثر خريجى تلك المعاهد العملية — ان لم يكن كلهم — يبحثون عن الوظائف الحكومية كأبناء الجيل السابق الذين لم يتعلموا مثل تعليمهم العملى ، فهم يلتمسون الوسائل الى الوظائف، وتحفى أقدامهم فى سبيلها لا فرق فى ذلك بين من درسوا الصناعة أو التجارة أو الزراعة . وكان الأمل فيهم أن ترقى بهم المزارع وتعمر المصانع وتفتح المتاجر .

وهذه بلا ريب ظاهرة عجيبة تدل على وجود نقص إما فى تلك المعاهد العملية يجعلها عاجزة عن أن تؤدى الى الغاية منها . وإما فى نفوس الشباب وأخلاقهم وتكوينهم يجعلهم لا ينتفعون بالتعليم العملى الذى تلقوه فى معاهدهم . بل تدل تلك الظاهرة فى الواقع على هذا وذاك معا مما سأبينه فى موضعه . ويتطرق بى ذلك إلى الكلام عن الطائفة الثانية من الطوائف التى يجب عليها أن تتولى الاعداد العملى للشباب وأعنى بها الآباء والأمهات .

لاشك أن البيت هو الهيئة الأولى التى يتلقى فيها النشء أخلاقه وتتكون فيها طباعه ونفسيته ولا يزال تأثير البيت يسير مع تأثير المدرسة جنبا الى جنب حتى بعد دور الطفولة والمراهقة . فعلى الآباء والامهات اذا أرادوا لأولادهم نجاحا فى الحياة أن يربوهم على الاعتماد على النفس والثقة أيضا . وعدم اليأس عند الفشل وعدم البطر عند النجاح . وعليهم أن ينشئوا فيهم الى جانب هذه الأخلاق فضائل الشرف والامانة والتعاون مع الغير والأخذ بيد الضعيف. ولاشك ان النشء الذى تتشبع نفوسه بهذه الأخلاق يقدر له الفوز فى مضمار العمل ومعترك الحياة . فهو على النقيض من النشء الخامل المدلل المتواكل . الذى ييأس عند أول صدمة والذى تخيفه أول صعوبة . فهذا نشء ضعيف لا يصلح للكفاح ولا خير فيه لنفسه ولا للوطن .

على أن واجب الآباء لا يقف عند حد التربية بل أرى أن نعود الى زمان قريب غير بعيد . حين كان التاجر مثلا يعد ولده أو أولاده ليشركوه فى تجارته . ثم ليتولوها من بعده وحين كان الزارع والصانع يفعلان مثل ذلك . فكانت الأسرة تتوارث الثروة أو نوع العمل

جيلا بعد جيل . وكان المشروع الاقتصادى يبقى فى الاسرة الواحدة عشرات السنين ليزيد تقدما واتساعا . ولقد خسرت البلاد كثيرا حين تركنا هذه التقاليد وصار ابن الزارع أو الصانع أو التاجر لا ينظر الا لوظيفة كتابية فى الحكومة حتى و إن تلقى دراسة عملية فى معاهدها وكان لا يزال للاسرة مزرعة أو مصنع أو متجر .

أما الطائفة الثالثة التى يجب أن تساهم فى الإعداد العملى للشباب فهى كما قلت طائفة أرباب المتاجر والمصانع والبيوت المالية . فهؤلاء عليهم واجب مقدس نحو الشباب حتى ولو كان من غير ذريتهم . وهذا الواجب هو تشجيعه على العمل . وافساح المجال له . وأخذه بالرفق والحزم معا . حتى يدخل معترك الحياة العملية و يستطيع أن يعتمد فيها على نفسه .

ولقد أشرت فيما سلف الى نقص فى التعليم العملى يحول بينه و بين أبناء غايته . وهذا النقص هو قلة التدريب فى خلال مراحل ذلك التعليم . فيتخرج الشاب فى معهد صناعى أو زراعى أو تجارى . وهو جاهل بالاساليب العملية . غريب عن ميدان الواقع . ولذا يبقى نظريا . قليل الاداء ولا يقبل أرباب العمل على استخدامه . ولتلافى ذلك لابد من ايجاد الصلات الوثيقة بين معاهد التعليم العملى و بين ميادين العمل . بحيث يتدرب طلبة الزراعة فى المزارع . وطلبة الصناعة فى المصانع . وطلبة التجارة فى المتاجر والبنوك والبورصات . وذلك فى خلال دراستهم وفى أوقات المسامحات . ولا يباح لهم التخرج ونيل الدبلومات الا اذا قضوا مددا معينة فى هذا التدريب بشهادات ثابتة . وبديهى أن ذلك يتطلب المساعدة الصادقة والتعاون الصحيح من جانب أرباب الأعمال . فعليهم أن يتيحوا للطلاب كل فرصة للتمرين . وأن يطلعوهم على أساليب العمل وأن يعاملوهم معاملة الآباء لأبنائهم يهمهم صالحهم ومستقبلهم . وعليهم أن يذكروا أن فى ذلك أيضا نفعا كبيرا يعود عليهم بعد حين . لأن أولئك الطلاب الذين يتدربون التدريب الصحيح سوف يمدون ميادين العمل بقوة جديدة صالحة مزودة بالعلم والعمل .

لقد حاولت فيما سلف أن أضع برنامجا مجملا لإعداد الشاب أعدادا عمليا . يقوم على أسس من الأخلاق والتعليم والتدريب . وذكرت واجبات رجال التعليم والآباء والأمهات ورجال الأعمال فى هذا الصدد . غير أننا يجدر بنا ألا نغفل عن أن الواجب الأول والمهمة الكبرى يقعان على عاتق الشاب نفسه . فعليه أن يتذرع بالصبر والإقدام . وأن يقبل على الحياة العملية إقبال الواثق من نفسه المعتمد على الله . وله أسوة حسنة فى أبناء الأجانب الذين يقدمون على مختلف الأعمال دون خوف أو وجل والذين يبدأون الأعمال الصغيرة ليكبروا معهم و بهم .

السيد عبد المجيد الرمالى